

الكاريكاتير كخطاب إعلامي يشوه الواقع

د . أحلام بولكعيات

جامعة قسنطينة 3 - الجزائر

الملخص :

يتناول هذا المقال بالبحث الكاريكاتير و هو أحد أنواع الخطاب الإعلامي الذي يتم فيه التعبير عن الرأي بلغة الرسم الساخر. و رسام الكاريكاتير هو صحفي و فنان في وقت واحد يشوه الواقع من خلال عمله بطريقة مقصودة . و الكاريكاتير يدخل ضمن أنواع الرأي . و هو قليل التوظيف في الصحافة العربية و الجزائرية على نحو خاص و لاسيما في مظهره السياسي ؛ حيث لا يتقبل السياسيون العرب أن يتناولهم الاعلام إلا في مظهر لائق يخفي العيوب و يبرز جوانب القوة فيهم . و هو ما لا نجده في الدول الغربية التي يتمتع فيها رسام الكاريكاتير بهامش أكبر من حرية التعبير. و عليه ، فإن ازدهار هذا النوع من الخطاب يتطلب وجود مناخ أو بيئة سياسية و اجتماعية تتمتع بدرجة عالية من التسامح .

Subject :

This article discusses the caricature which is a kind of media discourse whose expression is the cynical design. The cartoonist is a journalist and an artist at the same time with the aim of distorting reality a deliberate manner. It is also necessary to emphasize that the caricature as a kind has a character expression of opinion.

This is why the caricature is little used by the Arab press and the Algerian press in particular, especially when addressing political issues.

Leaders of Arab countries show less tolerance towards the media whose ironic expression is the content of discourse. On the other hand, in democratic countries cartoonists enjoy a greater margin of freedom of expression, which explains the development of this kind of media discourse.

مقدمة :

الكاريكاتير رسم قلمي في أغلب الأحيان يهدف لنقل رسالة أو وجهه معينة عن أشياء أو حوادث أو مواقف التي يتناولها من خلال المواضيع التي تندرج ضمنها سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية ، هو يقدم نقدا للأوضاع والأحداث الواقعية بأسلوب تهكمي ساخر ، مما يجعله ذو تأثير انفعالي، وهو من الألوان الإبداعية التي تظهر فيها الرسام براعته في إبراز الحقائق باعتماده على بعض الكلمات إلي تساعد في توضيح المعني ، يهدف إنارة عقول الجماهير إزاء واقعهم .

1- الكاريكاتير : المفهوم و الجذور

نشأ في منتصف القرن السابع عشر نوع فني جديد في "كاب أنيبال كراش " ؛ حيث تم استخدام لفظة caricatura لأول مرة . و أفاد هذا النوع الجديد تشويه الوجوه التي ألفها الانسان .

و بما أن طينته الرئيسية هي الاضحاك ، فقد صارح الكاريكاتير الكنيسة في أول ظهوره في الغرب الأوروبي. كما كانت حروب الاصلاحات الدينية التي شنها أتباع لوتر تستخدم الكاريكاتير للسخرية من الكنيسة الكاثوليكية . و لم تشمل السخرية الشخصيات الدينية فحسب و إنما تلبست بالاساسة . و لعل اقتراب هذا الفن من عموم الناس هو الذي منحه الانتشار السريع ، حيث سيكون أكثر التصاقا من الفنون الأخرى بالقضايا المباشرة للمجتمعات . (1)

و " الكاريكاتير " اسم مشتق من كلمة لاتينية و هي caricatura التي تعني رسم يغالي في إبراز العيوب . و هي لفظة يقابلها في اللغة العربية " الرسوم الساخرة " . حيث تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما :

أ- الكاريكاتير .

ب- الكارتون .

الفرق بين الكاريكاتير و الكارتون واضح يتمثل في أنه الأول فن فردي يقوم على تصوير الأشخاص بشيء من المبالغة والسخرية بقصد التهكم و تضمين كلام مكتوب أحيانا داخل اللوحة الكاريكاتيرية ، و يكون بفكرة مدروسة و معدة مسبقا للتعبير عن قضية معينة ، كما أن قنواته الإعلامية تكون في الصحافة أو المجالات . أما الكارتون فهو فن متحرك ، قد يتخذ من الشخصيات الإنسانية أو الحيوانية أبطالا لقصته ، و لقد شق طريقا آخر وتطور تطورا كبيرا خصوصا في السنوات الأخيرة مع ثورة التقنية و ظهور برامج الرسم و الجرافيكس المتخصصة ، إذ أن الكارتون عبارة عن مجموعة صور متحركة تتضمن حوادث و أبطالا تأخذ شكل القصة بقولها الفنية المعروفة و تكون تجسيدا لأشخاص أو حيوانات أو نباتات أو غيره . و هو فن موجه في الغالب لصغار السن ؛حيث يحمل رسائل تربوية و اجتماعية تكون بطريقة ممتعة ، و تكون قنواته الإعلامية هي التلفزيون أو السينما . (2)

إذن ، كان أصل كلمة كاريكاتير إيطالية Caricatura و تأتي بمعنى يحمل الشيء أكثر من طاقته ، و قد كان موسيني Mosini أول من استخدمها سنة 1646 ، أما في القرن السابع عشر فقد كان جيان لورينز برنيني Gian Lorenzo Bernini أول من قدم الرسم الساخر للمجتمع الفرنسي حينما ذهب إلى فرنسا عام 1666 ؛ حيث كان نحاتا و رسام كاريكاتير ماهرا . أما في اللغة الانجليزية فتأتي كلمة Characters بمعنى شخصيات. و نحن نعلم جيدا أن هذا الفن يعتمد بشكل كبير على الشخصيات التي يرسمها الفنان و التي تدور حولها القضية أو المشكلة المطروحة . كما تعني كلمة كاريكاتير caricature تمثيل للخصائص المميزة لشخص ما أو موضوع ما بهدف إيصال الفكرة بأسلوب ساخر مبالغ فيه (3) .

و الفن التشكيلي الساخر تطور عبر اسهامات فنانيين منهم "جيرونيم بوش (1450-1517) الذي يعد أستاذا في هذا المجال و صاحب اتجاهات أخلاقية و دينية ؛ حيث اهتم بتصوير الجوانب المظلمة و الساخرة من حياة الانسان و النتائج المخيفة (4) .

أما "وليم هو غارث" (1697-1764) الذي عرف مصطلح الكاريكاتير على أنه الفن الذي يسعى جاهدا إلى عرض الشخصية و الحقيقة الأخلاقية ، بعد أن كان فن الكاريكاتير الايطالي يقول : إن مهمة الكاريكاتير مجرد سخرية و تحقير ، فقد قدم مجموعة من الصور المسلسلة كما لو أنها على خشبة مسرح سخر فيها من كل مظاهر الانحطاط و الفساد في المجتمع . (5)
غير أن الولادة الفعلية للصحافة المصورة الساخرة كانت مع مطلع القرن التاسع عشر ؛ حيث بدأ ظهور الكاريكاتير في الصحف . (6)

و اعتبر القرن التاسع عشر قرن الكاريكاتير بامتياز . فأخذ الكاريكاتير على عاتقه دور نشر الأفكار و نقد السياسة و المجتمع ، و خلق وضعا يتقبل ما يشخص الواقع بشكل مستنقز . (7)
و يتميز الكاريكاتير بقدرته العالية على التأثير في المتلقي بما يفوق غيره من فنون العمل الإعلامي . لذا تحول الرسم الكاريكاتيري إلى لغة صحفية بارزة ؛ حيث يعد الآن أحد أبرز المواد التي تطلعننا عبر الصحف اليومية و المجالات . (8)

و يعرف الفنان الكاريكاتيري العربي " طلال فهد الشعشاع " الكاريكاتير على أنه " الرسم الساخر أو كما يطلق عليه الكاريكاتير هو ذلك التعبير الفني عن طريق الرسم و الذي يتناول القضية معينة بأسلوب ساخر يكسر رتابة الواقعية و يتمرد عليها ، حيث أنه يضم بعض أجزاء الرسم أو يقلصها على غير شكلها المعتاد للطرافة و لإثارة السخرية و الاضحاك مع الحفاظ على روح الشكل العام و عدم تغييره " (9) .
وورد في " قاموس المصطلحات الإعلامية " لمحمد فريد عزت " أن الكاريكاتير طريقة في الرسم مبالغ فيها على نحو ساخر في اظهار خصائص شخص (شيء) و نقائصه . و الكاريكاتير كلمة معربة من أصل ايطالي تطلق على صورة مرسومة لشخص أو لمجموعة من الاشخاص أو مشهد من المشاهد بطريقة تستثير السخرية و التهكم... و هو حاليا عنصر دائم في الصحف اليومية و السياسية و المجالات الادبية و الفكاهية " . (10)

و في هذا المقال سأستخدم مفهوم الكاريكاتير بمعنى رسم مبالغ فيه بطريقة مقصودة في ابراز ملامح وجه ما أو شخص ما يجعله مثيرا للضحك " . (11) وهو تعريف بسيط ورد في الموسوعة الفرنسية Encyclopaedia Universalis

2 - الكاريكاتير السياسي أكثر انتشارا :

يعد الكاريكاتير السياسي النوع الأكثر انتشارا . و قد ظهر مع ولادة الثورة الفرنسية حين أخذ الكاريكاتير قيمة دعائية في أوروبا. و ارتبط تطوره التاريخي طيلة القرن التاسع عشر بتطور الصحافة في كنف الأنظمة السياسية التي تتسامح مع الرأي المعارض. و في سنة 1830 ظهر للعموم العدد الأول من مجلة " الكاريكاتير " بإدارة شارل فيليبون الذي اكتشف في الرسم الساخر سلاحا استثنائيا ناجعا لمواجهة الملكية . (12)

و يشترك فن الكاريكاتير مع فن التصوير التشكيلي و كذلك فن القصة و الرواية في القدرة على تجسيد الحياة اليومية بتفاصيلها الواقعية التي تعطي البعد الفني في العمل ؛ حيث يشعر المتلقي أن هذه اللوحات تعبر فعلا عن واقعه و عن حياته اليومية التي يعيشها بكل ما فيها من إثارة و ملل و أحداث متغيرة في كل يوم . و الكاريكاتير يجب أن يكون معبرا عن أحوال الناس و عن مشاكلهم . . كما أن الشخصيات الكاريكاتيرية يجب أن تعبر عن حال نفسها من حيث الأهمية و المركز الاجتماعي كما نرى في حياتنا اليومية . فالرجل المسؤول يلبس ربطة العنق و يكون مكتنز الوجه و الضابط يكون قوي البنية رشيق القوام ، و المعلم سمح الوجه لين الأطراف ، فتعطي هذه الشخصية بعدها الواقعي عندما يكتب الفنان التعليقات النهائية حولها .

و في رسم الشخصيات الساخرة كل حركة و إيماة تهدف إلى معنى محدد . و تعبر قسما ت الوجه عن حالة الشخصية نفسها . فيجب أن تبدو فرحة في موضع الفرح ، و ساخطة في موضع السخط ، و متألمة في موضع التفكير ... إلخ . فإنه من الخطأ الخلط في تعابير هذه التراكيب و تغيير قسما ت الشخصية بما لا تفرضه حالة الشخصية نفسها (13). و كذلك يجري الكلام على حركة الأطراف و وضعية الجسم ، إذ لا بد أن تكون مقصودة و تؤدي إلى معنى معين ، فليدين حركات معينة يعبر كل منها عن شيء محدد . فمثلا رفع اليدين عاليا يدل على التهديد و الغضب ، بسطها للأمام يدل على الشرح و التوضيح ، جعلها في الخلف يدل على التفرج ، إدخالها في الجيب يدل على الحياء ، إنزالها إلى الأسفل يدل على الاستسلام و التقبل و الاندهاش ، و أما قبض اليد فيدل على التحدي ، بسط السبابة مع قبض اليد يدل على الإشارة أو التلويح و التهديد . في رسم الصدر هناك جزئية مهمة يجب أن لا نغفلها و هي إن كان رسم الصدر بارزا مرتفعا للأعلى و مقوسا فإنه يدل على الغضب و التحدي و القوة ، أما في الأوضاع العادية فإن الصدر يكون مساويا لخط البطن أو يكون البطن بارزا عنه ، هذا بالنسبة للرجل العادي . (14)

و يرتبط الكاريكاتير بالسخرية ارتباطا وثيقا حتى أطلق عليه تسمية (الفن الساخر) و اعتبره البعض وجها آخر للسخرية و الهجاء ، كونه يحمل في ثناياه نقدا لاذعا للسلوك الانساني المنحرف . و يعد الكاريكاتير السياسي اليوم أكثر الأنواع شيوعا كونه يقوم بمهمة تحريضية لنقد الواقع السياسي أو الأداء الحكومي .. و أصبح الكاريكاتير اليوم فنا مهما في الصحافة العربية و العالمية و أحد الوسائل الدقيقة للتعبير عن كثير من المشاكل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية . و تظهر

وظيفة الكاريكاتير كفن تحريضي دعائي ، يلعب دورا أساسيا في تناول الموضوعات السياسية و الدفاع عن حقوق الإنسان و غيرها . و هو يفتح آفاقا جديدة للمستقبل إما لمحاولة التغيير أو محاولة صياغة واقع جديد على أسس اجتماعية و إنسانية جديدة . (15) و اذا كان من الصعب قياس تأثير الكاريكاتير على تشكيل الرأي العام ، فان المختصين يتفقون على الاعتقاد بأن الكاريكاتير لعب دورا لا يمكن إنكاره من خلال ما تشهد عليه تنوع و تعدد و ثراء هذه الصور بحق و سخرية (16) .

3 - مدارس رسم الكاريكاتير واتجاهاته :

هناك مدارس مختلفة في رسم الكاريكاتير لكن أكثرها شهرة واستخداما حتى الآن ثلاث هي (17) :

1- مدرسة الكاريكاتير الأوروبي وهي المدرسة التي بدأها " هوغا رث " في انكلترا وطورها وأبدع فيها " دموييه " في فرنسا وأعلن عن أبوته للكاريكاتير الحديث جرائها وهي تتميز بالشكل الكلاسيكي للشخصيات المرسومة مع التعليق المرافق للرسم حتي في حالة عدم الحاجة إليه . والتعليق عادة ما يكون أسفل الرسم ومنفصل عنه وهو مأخوذ من اللوحة التعريفية التي توضع على إطارات اللوحات التشكيلية وتوسع استخدام هذا النوع إلى كتابة كلمة ترمز إلى الشخصية أو الإشارة المستخدمة في الرسم . وهذه تدعم المفارقة في الرسم وتعزز الموقف الساخر . واستخدم أيضا بشكل أكثر توسعا له في كتابة الحوار بين الشخصيات المرسومة تحت الرسم ، والحقيقة هنا أن الرسم وفق هذه المدرسة مستمد من الوظيفة الأولى للكاريكاتير وهي السخرية بالدرجة الأولى والتي تستخدم المبالغة والتضخيم ؛ حيث يصبح الرسم ملحقا وتوضيحا وداعما للفكرة الساخرة التي يتضمنها التعليق وهي كثيرا ما يمكن متابعته في الكاريكاتير الأوروبي الآن .

2- مدرسة الكاريكاتير الأمريكي وفيها استخدم الرسامون طريقة جديدة في استخدام التعليق وهي وضعه في بالون متصل بغم الشخصية وهذه الطريقة وضعت التعليق في صلب الرسم وجزء منه وبذلك تشد المتلقي إلى الرسم بدلا من انشغاله بالتعليق المنفصل عنه والموضوع أسفله وهذه الطريقة انتشرت واستخدمها الرسامون في أنحاء العالم المختلفة وفيها أيضا أول ابتكار للشخصيات الكاريكاتيرية الوطنية مثل شخصية العم سام والتي انتشرت أيضا وتسابق الرسامون على ابتكار شخصياتهم الوطنية وكما رأينا شخصية "المصري أفندي" و"رفيعة هانم" و " بهجاتوس " وغيرها في مصر و"أبو خليل" في لبنان و"البغدادي" في العراق و" حنظله " في فلسطين .

3- مدرسة الكاريكاتير الأوروبي الشرقي، رغم أن التسمية أصبحت قديمة في ظل التغيرات التي حصلت نهاية القرن الماضي إلا أنها تشير إلى اتجاه مبتكر في الرسم الكاريكاتيري وهي الأكثر حداثة وقابلية على الانتشار والتلقي . ومن أولى مميزاتها أنها لا تستخدم التعليق وتعتمد على الخط في توصيل الفكرة وكانت ملائمة جدا للتخلص من الرقابة وهنا تكمن العبقرية في ابتكارها وتعتمد المفارقة

المرّة في التعرّض للموضوع وتوسّع لأن تكون الفكرة عامّة في خصوصيتها وفي جلّها أفكار تتعلّق بالوجود الإنساني ومحنة الإنسان وتلخص الواقع المرير الناتج من القسر ومصادرة الحريات الشخصية وكتبها في بلدان أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق .

وبذلك يمكن للمتابع للكاريكاتير أن يلاحظ من التقسيمات الثلاث السابقة أن رسامي الكاريكاتير يستخدمون الأنواع السابقة جميعها دون استثناء .

وحسب متطلبات الفكرة المطروحة رغم معرفتنا لحاجة الرسام إلى الإفلات من الرقابة التي تخنق الحريات في الكثير من البلدان التي تقتعد إلى الحريات الشخصية وحرية الرأي بالدرجة الأولى . و ما يلفت النظر إليه اليوم تسمية جديدة للكاريكاتير وهو كاريكاتير الرأي . ويشير إلى الرسم الذي ينجزه الرسام بالاتفاق مع هيئة التحرير والذي يمثل رأي الجريدة وهو التفاف وتبرير لهذه الطريقة التي يكون فيها الرسام مجرد منفذ لفكرة غيره وفي الحقيقة يعتبر هذا عيبا في الرسم والرسام معا . وقد أنتجت مؤسسة أخبار اليوم المصرية كاريكاتيرات على صفحاتها بالاتفاق بين هيئة التحرير والرسام وذلك بتعيين أحد الكتاب كمنتج لأفكار ساخرة وكما يحصل اليوم من تعاون بين " أحمد رجب " و "مصطفى حسين" في مصر وفي فرنسا بين رسام "لوموند " " فالنتير " الذي يأخذ موضوع الرسم من رئيس التحرير لكونه ينزل في الصفحة الأولى للجريدة ويمثل رأيا وكذلك يحصل في " الساييت مونيتير " الأمريكية مع رسامها " بينيت " . (18)

وهو ما يدعو إلى التوجس من أمر تكليف الرسام برسم أفكار غيره والذي يفقد الكاريكاتير أهمية الامتثال إلى الحرية التي ينشدها ويدافع عنها ؛ حيث يتحول الرسام الى مجرد تابع ويصبح الرسم الكاريكاتيري عبارة عن كتابة ساخرة مدعومة برسم.

4 - خط التعليق في الكاريكاتير :

إن رسوم الكاريكاتير المعاصرة تحمل كلمات و تعليقات لمأحة تبين موقف الفنان منها إما سلبيا أو إيجابا ، و يمكن تصنيف كتابة التعليق إلى ثلاثة أشكال رئيسية و هي : (19)

1 - تعليق صامت " بدون كلام " .

2 - تعليق مقتضب " خلاصة الخلاصة " .

3 - تعليق مستفيض " انشراح في التعبير " .

- التعليق الصامت :

و يشير الى الكاريكاتير الذي يحمل شخصيات ساخرة أو رموزا فنية لكن دون إضافة أي عبارات أو نصوص مكتوبة . أنه عبارة عن لوحة ساخرة تحمل كلمة واحدة أو أكثر لا تكون في سياق جملة مفيدة . و في الكثير من الأحيان يتجه الكاريكاتير السياسي والاقتصادي إلى التعليق الصامت . و من المعلوم يعتبر أرقى درجات فن الكاريكاتير ، حيث يعطي دائما دلالات واضحة جلية . لأن التعبير يرتكز هنا على الصورة و على الموقف . و هذه اللوحة تقرأ بلا كلمات فتكون

أسرع في الفهم و أبلغ في إيصال الهدف . و يعتبر الكاريكاتير الصامت فنا صعبا يحتاج إلى الكثير من التأمل و التدريب ، فهو يتطلب من الرسام أن يكون حاضر البديهة .

فالصورة أبلغ في التعبير من الكلام ، و أوضح في إيصال الهدف . كما أنها تتخطى المحلية إلى العالمية ، فالصورة لغة تفهمها جميع الشعوب ، مهما تنوعت ثقافتها و موروثاتها . و فنان الكاريكاتير الذي يسعى إلى نشر أعماله عالميا لا بد أن يعتمد هذا الأسلوب . و لذلك ، فإن الكاريكاتير السياسي في مجمله كاريكاتيرا صامتا ، يخلو من الكلام و يعبر بصديق و موضوعية عن المشكلات السياسية التي يتناولها الفنان .

و قوة الكاريكاتير الصامت تكمن في سرعة إيصال الفكرة للقارئ من الوهلة الأولى التي يقع نظره على الرسم ؛ حيث تنحصر الصورة التخيلية في ذهن القارئ و تتحد أبعاد القضية تماما لتجسدها أمامه ، في حين ان المخيلة تفيض عندما يعتمد الفنان على نص مكتوب . فالتعليق المكون من كلمات معينة توجه فهم القارئ إلى شيء معين ، و قد يحمل مغزى آخر يريد أن يرمي إليه بطريقة غير مباشرة . و قد يكون للزمن دور في إساءة فهم مقصد الرسام أيضا ، و لذلك يتعين عليه مراعاة عامل التوقيت في نشر اللوحات خصوصا ذات القضايا البارزة . حتى يحقق الهدف المطلوب و لا تخرج لوحاته عن مقصدها . كما ، يتعين على الفنان أن يكون متابعيا جيدا لمسرح الأحداث اليومية... الاجتماعية ، السياسية ، الاقتصادية. بحيث يقدم أعمالا تواكب الأحداث .

إن التعليق الصامت فن أكثر تحديدا لمقصده عند تناول القضية و إن التعليق المقتضب يصل إلى نتيجة أقل من التعليق الصامت بكل تأكيد ، لكنه لا يعني ضعف دور هذا النوع من الكاريكاتير . وتجدر الإشارة إلى أن كثرة كتابة الشروح تفقد الكاريكاتير قيمته و هي تعبر عن ضعف الفكرة الكاريكاتيرية بالأصل . و اذا كان من المفروض لأي لوحة كاريكاتير أن تركز دائما على قضية رئيسية مع تهميشها للأفكار الجزئية التي تشتت المضمون من جهة ، و أن تكون اللوحة بلا شروح كثيرة من جهة أخرى .

و الرسم الكاريكاتيري الذي يستغني عن التعليق هو أكيد رسم فائق المهارة و صاحب الصدارة بين الأنواع المختلفة للرسوم الكاريكاتيرية . و لأنه يعتمد على أداة تعبيرية واحدة (الأداة التشكيلية) . فهو إذن ، يستطيع الوصول إلى الجماهير بغض النظر عن لغاتها . (20)

- التعليق المقتضب :

يأتي التعليق المقتضب في المرتبة الثانية بعد التعليق الصامت . و هو بكل بساطة لوحة كاريكاتيرية تحتوي على تعليق محدود الكلمات إلى الحد الذي يخل بعده سياق الجملة عند حذف أي كلمة من النص . و هذا الاتجاه يقدم الخلاصة للقارئ و يبتعد عن التطويل في الكلام بحيث يكون التعليق عادة إما عبر شخصية واحدة في اللوحة ، أو يكون خطابا تحاوريا بين شخصيتين . و جدير بالذكر أن كثرة التعليقات المحددة الألفاظ الموزعة على عدة شخصيات في العمل تخرجها من إطار

التعليق المقتضب إلى التعليق المستفيض. بمعنى أن اللوحة توصف بالاستفاضة في النص ، لأن كثرة الكلام الموزع بين شخصيات العمل يعتبر من الثثرة غير المستحبة . لأن العين تستقر على منطقة معينة في اللوحة ، لتستمتع بالرسوم ، و لتصل إلى النص و الهدف بكل يسر و سهولة .

و الكاريكاتير المقتضب قوي الانتشار بين أوساط القراء لعدة أسباب : (21)

1- بعد اللوحات المقتضبة في الكثير من الأحيان عن مساحة الطرح الجاد ؛ حيث أنها تتناول المشكلة باللفظ العامي الذي يلامس ذوق القارئ بشكل مباشر لكون الشخصيات الكاريكاتيرية تتكلم بلهجته و ألفاظه .

2- تتناول اللوحات المقتضبة غالباً القضايا الاجتماعية أو الرياضية التي يتشوق القراء لمتابعها يوماً كما أنها تصور الواقع المعيشي و الحياة اليومية للقارئ بتفصيلاتها الجميلة كالتفاف الأسرة حول وجبة العشاء أو في جلسات المقاهي أو قصور الأفراح أو صالونات التجميل و غيرها .

3- إن فهم مقصد اللوحات المقتضبة يكون سهلاً لجميع القراء - على اختلاف مستوياتهم الثقافية و الفكرية - لأن القارئ يشاهد و يقرأ و يفهم ، كما أن الفنان يتناول أحياناً القضية بشكل غير مباشر من خلال التلاعب بمفردات النص لما يعطي مساحة جيدة لتفسير المقصد . في حين أن اللوحات الصامتة مباشرة المقصد و موجهة نحو هدف واحد و هي تتطلب التركيز و إمعان النظر كما تتطلب مستوى ثقافي جيد ، لأن الفنان يعبر عن قضية قد لا تكون تفاصيلها معروفة لدى الجميع . و نلاحظ أن القارئ يتوه في تفسيرات مختلفة للرموز التي يستخدمها الفنان ، حيث يفسر في الكثير من الأحيان ظاهر الرمز المرسوم و لا يفسره من جانبه الدلالي أو الباطني .

4- إن اللوحات المقتضبة تخاطب السواد الأعظم من الناس ، و لأن القراء يحبون قراءة النص داخل اللوحة ، فهم يبحثون عن عنصر المفاجأة و النكتة.

5- يقف القارئ عند الكاريكاتير المقتضب فيقرأه و يتأمله بينما يكون مروراً عابراً عند اللوحات الصامتة لخلوها من الكلام .

كل هذه الأمور تؤثر في صنع الكاريكاتير ، و في الحقيقة هناك عوامل تساعد الفنان على اختيار اتجاهه أو أنه يقوم بالتنوع حسب الطرح و حسب الموضوع . فقد يبدع الفنان في الكاريكاتير الصامت كما قد يبدع في الكاريكاتير المقتضب . ربما يتقبل القراء الكاريكاتير المقتضب من هذا الفنان أكثر من الكاريكاتير الصامت و ربما العكس . و عليه أن يدرك جوانب القوة في أعماله فيعززها و ينميها .

و إن كان هناك ما يحد من انتشار اللوحات المقتضبة ، فإنه يكمن في حدود انتشار اللغة و في إقليميتها . فالأجناس البشرية متعددة اللغات و اللهجات ، و لا يستطيع كل البشر فهم كل اللغات . و لكن يمكن التغلب على هذه المشكلة إما بالترجمة تارة ، أو اعتماد لغة عالمية كالإنجليزية تارة أخرى أو لغة الجسد . (22)

- التعليق المستفيض :

برز خلاف كبير حول جودة و أصالة هذا النوع من الكاريكاتير ؛ حيث أن الكثير من المهتمين بهذا الفن بل حتى من قبل بعض الفنانين أنفسهم لا يعتبرون هذا الاتجاه فنا حقيقيا لطول عبارات نص التعليق إلى الحد غير المعقول . في حين أنه يمكن اختصار الكثير من الكلام المكتوب ، " الكاريكاتير المقالي " . على أية حال ، فإنه لا أحدا ينكر وجود هذا النوع من الكاريكاتير ، خاصة أن بعض الفنانين الكبار تناولوه في أعمالهم . كما أن بعض الأفكار الكاريكاتيرية تتطلب التطويل في الكلام لإيصال جوهر القضية للقارئ .

إن التعليق المستفيض يعني انطلاقا في سرد العبارات الكثيرة داخل مربع النص . فلا حدود معينة تكبل الفنان في انتقائه للكلام ، و ليس هناك تضيق لمفردات النص المكتوب ، و بالتالي يتم تصنيفه في المرتبة الأخيرة في هذا الفن . و هو عموما قليل الانتشار في أعمال فناني الكاريكاتير لعدة أسباب :

أولا : إدراك الفنان أن القارئ يمل بسرعة قراءة النص الطويل .

ثانيا : إن المشكلات التي تتطلب تعليقات طويلة و شرح وافر يمكن اختزال ألفاظها إلى كلام قليل معقول .

ثالثا : إن هذا الاتجاه يعطي انطبعا بالثرثرة غير المستحبة عند القارئ .

و أخيرا : إن جمال فن الكاريكاتير يكمن في التلميح و الدلالات التي يفهمها القارئ و التي لا تكون مكتوبة في العمل ؛ حيث لا يكون ذلك إلا في العبارات القصيرة المركزة .

تفرض الفكرة نفسها على الفنان في اختيارها ضمن الكاريكاتير المقالي ، و هذا النوع من الأفكار قليل عموما ، لأن هناك أفكارا تتضح أكثر من خلال التطويل في الكلام و الاستفاضة في الشرح . (23)

6 - خصائص فن الكاريكاتير :

يجمع الدارسون لهذا الفن على أن أهم ما يتميز به يمكن حصره في الجوانب التالية : (24)

أ- المبالغة و التفريد :

الكاريكاتير هو مبالغة في التعبير من خلال الصورة في إبراز الخصائص الفريدة المميزة للشخصية . فهناك مبالغة في تجسيد بعض الخصائص الفريدة المميزة للشخصية ، بحيث تميزه عن غيره . لكن معنى الكاريكاتير يتسع أحيانا ، بحيث يمتد به بعض الفنانين و النقاد إلى أي تعبير مسخي لبعض الأمم أو أنماط الشخصيات ، أو لبعض الرموز السياسية كما هو حالة الفيل الذي هو رمز الحزب الجمهوري ، و الحمار الذي هو رمز الحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة ، لكن هذا المعنى الأكثر اتساعا ، و هو معنى أقل شيوعا ، أما الأكثر شيوعا فهو ذلك الاستخدام الذي يربط بين

الكاريكاتير و بين الصور المحملة بالمعاني و الخاصة ببعض الشخصيات ، والتي تمت المبالغة في تجسيد بعض ملامحها ، فبدت فريدة وغريبة ومن ثم مضحكة.

وهكذا يختلف الكاريكاتير عن الصورة الواقعية ، التي يرسمها بعض الفنانين لبعض الشخصيات المشهورة ، كما يختلف الكاريكاتير أيضا كذلك عما يسمى بالبنية النسخية ، وذلك لأن الصورة الكاريكاتيرية تكون في العادة ، صورة خاصة بشخصية معروفة ، أو حتى لإنسان عادي ، أما في الصورة المرتبطة بالبنية المسخية فتلعب عملية ابتكار الشخصيات وإنتاجها من جديد دورا .

أما الكاريكاتير فهو لا يميل الى هذا الحد من السخرية في تحريفه للأبعاد ، فهو ليس شيطاني الطابع هكذا ، فمبالغته متوسطة لكن سخريته أكبر ، و فكاهته أعمق.

ب- القدرة على كشف العيوب:

للكاريكاتير قدرة فريدة على كشف مزايا بعض الشخصيات ، لكن اهتمامه الأكبر يكون موجها نحو الكشف عن العيوب . إنه يلقي الضوء على الشخصية أي على جوهرها الحقيقي ، جوهرها الملتبس المتغير أي على ما يوجد هناك خلف هذا القناع .

وهنا نفهم المضحك في الكاريكاتير ، فالهيئة مهما انتظمت ، ومهما انسجمت خطوطها ومررت حركاتها ، لا يمكن أن يكون التوازن فيها تماما مطلقا ، ففيها أبدا نذير اعوجاج ، إن فيها تشوه ما ، كان يمكن أن يعيب الطبيعة . وفن الكاريكاتير إنما يقوم على إدراك هذه الحركة التي لا تدرك ، يضخمها و يجعلها مرئية تصل إلى الناس . فهو يشوه نماذج على نحو ما كان يمكن أن تشوه من تلقاء ذاتها لو ذهبت بتجدها إلى أقصاه ، وهو يستشف فيما وراء انسجام الصورة الظاهري ، عصيان المادة العميق فيرسم لنا تنافرا و تشوها موجودين في الطبيعة .

و الكاريكاتير كما يقول " فرويد " هو نوع من الحط من قدر الشخصية ، بالتركيز على صفة من صفاتها ، أو ملمح من ملامحها كان يمر دون أن يتوقف عنده أحد ، لأنه كان منظورا عليه حينئذ في الإطار الكلي للصورة العامة ، وحين يلتفت إلى هذا الملمح وحده دون سواه ، يقع التأثير المقصود ، وهو الضحك الذي يمتد حينئذ من الجزء إلى الكل ، أو إلى الشخص نفسه .

ج- الفكاهة :

من أهداف الكاريكاتير الأساسية جعل المتلقين يبتسمون أو يضحكون ، ويفكرون أيضا من خلال تأملهم لهذا التجسيد النقدي الساخر لبعض الشخصيات التي يعرفونها وكذلك المواقف و الأحداث التي يدركونها في معاني أخرى للأحداث و الشخصيات .

د- التبسيط :

يتم الكاريكاتير في العادة من خلال الرسم ، أي من خلال استخدام الرصاص أو الحبر ، أو الحفر أو الطباعة ، ونادرا ما تجد كاريكاتير ملونا ، فالخطوط في هذا الفن أكثر بساطة من غيرها من أشكال تجسيد الشخصية ، إنها كثيرا ما تكون أشبه بالارتجال ، ومن ثم فهي قريبة من ذلك التعبير

العفوي التلقائي الذي يقوم به الفنانون عموماً . فالكاريكاتير يفتقر إلى المعلومات التي يوفرها اللون و الظل و النور في التصوير الزيني مثلاً أو في الصورة الفوتوغرافية ، ومع ذلك فإن هذا التبسيط في الخطوط قد يكون أكثر أدوات فنان الكاريكاتير قوة في نقل المعلومات البصرية عن الشخصية أو الموضوع الذي يرسمه .

خلاصة :

أن الكاريكاتير مقال تحل فيه الخطوط محل الكلمات و هو تعبير عن حدث أو فكرة باستخدام موهبة الرسم و تحويلها إلى رموز مكتوبة و مفهومة بقصد لفت الانتباه إلى أمر مرغوب ينبغي دعمه أو تسليط الضوء على أمر مذموم ينبغي تجنبه. و منذ النشأة كان دائماً حاول فنان الكاريكاتير دائماً يسعى للكشف عن الإنسان الحقيقي الموجود خلف قناع المظاهر . و رسام الكاريكاتير ، فنان يخلق الجمال من خلال إبراز النقص أو التشوه الكامن في الإنسان .

* قائمة المراجع:

- 1- نزار شقون ،مكاشفات الصورة في اللوحة و الكاريكاتير ، دار محمد عي للنشر صفاقس ، تونس 2010 ص78-79.
- 2- طلال فهد الشعشاع ، فن الكاريكاتير ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت 2011،ص20.
- 3- المرجع نفسه ،ص21.
- 4- عفراء ميهوب ، التشكيل الضاحك،(مقال منشور في صحيفة تشرين أون لاین http// tisheen.news.sy
- 5-المرجع نفسه .
- 6 -Pouchain (Gerard) ,Victor Hugo par la caricature ,(article paru in presence de la litterature , Seren cndp ,2010
- 7- محمد اسماعيل ، رسامو الكاريكاتير يفتحون النار ، مقال في صحيفة الرياض السعودية ، عدد 17 ماي 2000، رقم 12380 ، ص 4
- 8-المرجع نفسه ، ص 2
- 9- طلال فهد الشعشاع ، فن الكاريكاتير ،مؤسسة الانتشار العربي ،بيروت،2011،ص19.
- 10-محمد فريد ،محمود عزت ،قاموس المصطلحات الاعلامية ،دار المكتبة الهلال بيروت ، 2008.
- 11 - 2012 encyclopaedia universalis ,
- 12 - طلال فهد الشعشاع ، مرجع سابق، ص30.
- 13- المرجع نفسه ،ص31.
- 14- حمدان خضر السالم ، الكاريكاتير ..الفن الساخر ، (مقال منشور على الشبكة http//forum.stop . 55. Com 385952
- 15- قدور عبد الله ثاني سيميائية الصورة ،الوراق للنشر و التوزيع ،الأردن ، 2008 ، ص110.

- Dupuy (Pascal) , La caricature , arme politique , in la révolution en images 61
tdc n_1013
- 17- عبد الكريم سعدون ، الكاريكاتير الصحفي ، الأكاديمية العربية في الدانمارك
[http : //www.ao-academy.org](http://www.ao-academy.org)
- 18- المرجع نفسه .
- 19 - محمد عناني ، فن الكوميديا ، مكتبة الأسرة ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب ، الإسكندرية 2002
، ص 18
- 20- المرجع نفسه ، ص89.
- 21- المرجع نفسه ، ص90.
- 22- المرجع نفسه ، ص 95.
- 23- المرجع نفسه ، ص97.
- 24- شاكر عبد الحميد وآخرون ، الفكاهة و آليات النقد الاجتماعي ، مركز البحوث و الدراسات
الاجتماعية - كلية الآداب - جامعة القاهرة ، 2004 ص ص58-61